الملتقى الدولي الأول: ابدالات الخطاب النقدي المعاصر من الحداثة إلى ما بعد الحداثة

جامعة عباس لغرور –خنشلة –10–11 أكتوبر 2023

المحور الأول: الحداثة وما بعد الحداثة؛ المفهوم النشأة والتحولات.

عنوان المداخلة:

الحداثة وما بعد الحداثة؛ من التحولات إلى التعارضات

دراسة مقارنة بين النشأة والمفاهيم والمصطلحات.

د. لبنى خشة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة

المقدمة:

خلق الله الإنسان وميزه بالعقل، وجبل عقله على التفكير، فوجّه تفكيرهُ نحو الابتكار والابداع، حبا في الريادة والسيطرة والتوسع والانتشار والنفوذ والتنظيم، وبموازاة ذلك كانت له رغبة جامحة في الانفلات من كل القيود، فجدّد هالة الفكر والتفكير، وغيّر ما حوله، وحدّد مناهج وضع لها مبادئ، وتبنى طروحاته، وسار عليها، واقنع بها غيره في صورة تتماشى مع سنة الإنسان في تسيير حياته، لذلك لا يخلو مجتمع من مذهب يسير بموجبه مهما اختلفت الحضارات والإيديولوجيات.

وقد تزاحمت أنواعٌ عديدة ومتباينة من النظرياتِ والمذاهبِ الفكرية والفلسفية والنقدية الغربية، عبر امتداد الزمن في العصور الماضية والمتلاحقة، لأسباب ظاهرة وأخرى خفية، أما الخفية منها فكانت للإطاحة بطغاة الكنيسة وتخليص الناس من قبضتهم، ثم لسد الفراغ ببديل عن الدين النصراني بعد إقصاءه وإقصاء ورجاله، فتولدت الحاجة إلى إشغال الناس بأي جديد، بعد سوء أحوال الحياة، فكانت الرغبة في البناء الجديد للحياة الأوروبية، سببا ظاهرا مهد لثورة المذاهب الفكرية، لكنّ الذي يجب التنويه إليه أنّ كل مذهبٍ كان ردة فعلٍ لمذهبٍ سابق، يحمل في ذاته عناصر ميلاده وازدهاره وخموله أحيانا، واندثاره وفنائه في أحيان كثيرة.

ومن المذاهب التي أحدثت انفجارا فكريا مسّ كل مناحي الحياة؛ الحداثة وما بعدها، فما هي الحداثة وما بعدها؟ وكيف نشأت؟ وفي أي ظروف ترعرعت؟ وما الفرق بين الحداثة وما بعد الحداثة؟ وما هي خصائص كل مذهب من المذاهب؟ وكيف تحول المسار الفكري من الحداثة إلى ما بعدها؟ وما هي الطبيعة المصطلحية لكل مذهب؟ وما هي معارضاتها؟ وما الذي أسقط الحداثة ليُظهر ما بعدها؟

ووفق منهج تاريخي يعتمد على الاستقراء والمقارنة والتحليل، سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها في هذه الدراسة.

I- الحداثة (modernity):

من المصطلحات التي شغلت اهتمامات المفكرين والأدباء والفلاسفة وعلماء الاجتماع، مصطلح الحداثة، فمنذ عصر النهضة حتى اليوم، احتل مكانة في مختلف مجالات البحث والأنساق الفكرية الكلاسيكية، فما هو مفهوم الحداثة؟ وما سياقها التاريخي والإبستمولوجي (المعرفي)؟ وماهي مرتكزاتها؟ وماهي أهم النظريات التي رافقته؟ وماهي إيجابيات الحداثة وسلبياتها؟

1-المفهوم:

أ-المفهوم اللغوي:

وتعني الحداثة في مجملها «أول الأمر وابتداءه، وتعني كذلك أول الشباب وأول العمر، وهي أيضا بدايات الأمور؛ ولذلك ينبغي نقل الكلمة (مودرنيزم modernisme) على مثال المصدر الصناعي من اسم الحداثة وهو الحداثية، بحيث نفهم من مصطلح الحداثة والحداثية خلفيته اللغوية والفكرية والعقدية ومرجعيته الحضارية والفلسفية»[1]

وقد ظهر «مصطلح الحداثة -الحداثية -مترجما من الإنجليزية إلى العربية، مشتقا من فعل حدث يحدث حدوثاً وحداثة، والحديث نقيض القديم، فهو محدث وحديث (modernisme)، يقابلها في اللغة العربية بناء ما يسمى في علم الصرف بالمصدر الصناعي، ويتم زيادة ياء مشددة بعدها هاء في آخر الاسم، كالوطنية في الوطن، والإنسانية في الانسان، والصناعية في الصناعة ومعناها اللغوي يعني الابتداء وأول الأمر»[2]، وعرفها المعجم الفرنسي (Le Petit Robert): «بأنها حركة قامت في الوسط النصراني تطالب بتبني تفسير جديد للمعتقدات والأصول اللاهوتية التقليدية وفق أساليب التأويل الحديث»[3]

ب-المفهوم الاصطلاحي:

أربك مصطلح الحداثة الأوساط الأوربية، لأنه جاء **كثورة هائلة على كل ما كان وهو كائن في المجتمع**، كاتجاه جديد في المجتمع **تبنى العلم والتكنولوجيا والعقل كآليات وحيدة للتعامل مع الواقع**، لذلك هي **صورة نسق وتجسّدُ نمطا اجتماعيا متكامل**، وملامح نسق صناعي منظم ومتكامل يقوم على العقلانية

---

[1] عدنان علي رضا النحوي: الحداثة في منظور إيماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1410هـ-1989م، ص 18

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار المعارف مصر، ج1، ط2، 1392هـ-1972م، ص 160

[3] علا عزمي الشربيني: القول بين التحديث والحداثة والمعاصرة، مجلة ميديا المجلد 109، العدد 1، ص356

في مختلف المستويات والاتجاهات، وعرفها كل من (ماركس) و(دوركايم) بأنها «**نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل الثابتة**، حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي»[1]

كما عرفها الكثير من المفكرين والفلاسفة والنقاد: [«أما الفيلسوف الألماني (كانط) فيقول بأنها: تحرير العقل من سلطة المقدس»، وسمى سلطة المقدس أصنام العقل، وربط بين الحداثة والحرية الكاملة، في حين عرفها « (جوس أورتيكا) بأنها: هدم لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب والحياة الاجتماعية»، وعرفها (نورين) بأنها «استبدلت فكرة الله بفكرة العلم بحيث تقتصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد، وهذه التفسيرات عند علماء وفلاسفة الغرب نشأت في ظل سلطة رجال الدين والكنيسة والإقطاع في أوروبا»][2]

يرى (رولان بارت 1915 –1981م) أن: «في الحداثة تنفجر الطاقات الكامنة، وتتحرر شهوات الإبداع، في الثورة المعرفية، **مولدة في سرعة مذهلة وكثافة مدهشة أفكاراً جديدة**، وأشكالاً غير مألوفة، **وتكوينات غريبة وأقنعة عجيبة**، فيقف بعض الناس منبهراً بها، ويقف بعضهم الآخر خائفاً منها، هذا الطوفان المعرفي يولّد خصوبة لا مثيل لها، ولكنه يغرق أيضا»[3]، فالحداثة عنده انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه، انفجار رهيب للطاقات الكامنة التي لم تستطع الفلسفات السابقة كلها أن توجهها، انفجار لم يستطع حتى الإنسان المعاصر من كبح جماحه، أنه انفجار اليأس والقنوط والكفر بكل شيء، تتحرر فيه ميولات الإبداع ونزواته لتغيب في تيه ممتد لا نهائي، من أجل توليد أفكاراً جديدة، وأشكالاً وأقنعة، وكل شيء تجده جديداً حتى لو كان قاتلا، ومدمراً، ومهلكاً، ويصفها بعض الباحثين الأوروبيين: «بأنها **زلزلة حضارية عنيفة، وانقلاب ثقافي شامل**، وأنها جعلت الإنسان الغربي يشك في حضارته بأكملها، ويرفض حتى أرسخ معتقداته المتوارثة»[4]، فالحداثة إن لم تكن انفجاراً هي زلزلة عظيمة تدمر كل شيء، إنها زلزلة النفوس اليائسة(...)وهي تبحث عن أمنها وأمانها، فتدمر نفسها، وتدمر كل شيء.

ويورد عدنان النحوي رأيا لكل من (مالكوم برادبري Malcolm Bradbury) و (جيمس ماكفارلن) يقولان: «إننا نعتقد بأن هذا الفن الجديد جاء نتيجة لهذا النوع من الهزات الكاسحة (Cataclysmique Ordre)، أو ربما هو هزة كاسحة في حد ذاته»[5]، ويلخص (**جون بودريار Jean Baudrillard**) هذه

---

[1] علا عزمي الشربيني: القول بين التحديث والحداثة والمعاصرة، مجلة ميديا المجلد 109، العدد 1، ص356

[2] المرجع نفسه، ص357

[3] عدنان علي رضا النحوي: الحداثة في منظور إيماني، المرجع نفسه، ص–ص 25–26

[4] المرجع نفسه، ص26

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

النزعة بقوله: «ليست الحداثة مفهوما سوسيولوجيا ولا مفهوما سياسيا وليست بالتمام مفهوما تاريخيا بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي»[1]، فمتى نشأت وكيف ؟ وما هي نظرياتها؟

2-النشأة:

يحدد المؤرخون بداية الحداثة في أوربا مع الثورة ضد سلطة الكنيسة في عام 1513م، ويقول البعض، إن نشأة الحداثة كانت مع الثورة الأمريكية 1776م، على الإنجليز وتحرير أمريكا من كل سلطة، أو مع بداية الثورة الفرنسية عام 1789م، لذلك يمكن تقسيم الحداثة إلى ثلاث حقب:

1-**تمتد الحقبة الأولى** من القرن 16 إلى نهاية القرن 18 (البدايات الأولى لممارسات الحداثة).

2-**تبدأ الحقبة الثانية** مع المد الثوري الكبير من القرن 18(فمع الثورة الفرنسية 1789 برز جمهور ثوري ونخبة ترغب في عصر حداثي).

3-**أما الحقبة الثالثة والأخيرة** تمثلت في القرن 20 حيث تتسع الحداثة لتشمل العالم كله تقريبا.

لذلك يمكننا القول أن **بدايات هذا المنهج التجديدي مع أواخر القرن التاسع عشر، إلى منتصف القرن العشرين**، سيراً على خطى التقدم الصناعي والاجتماعي والفلسفي الذي شهدته القارة الأوروبية والعالم، لاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، وبالنظر إلى اعتبار زمن الثورات في أوربا حداثة، بسبب موقفها من الإقطاع ورجال الكنيسة، ولا يختلف عن ذلك عصر التنوير- الذي تعتبر حداثة أيضا ضد الجهل وضد الموروث أيا كان نوعه- ولذلك يرى بعض المفكرين أن بداية الحداثة ظهرت مع ظهور البروتستانتية بديلا عن الكاثوليكية أو مع ظهور علماء العلوم الطبيعية أمثال : (كوبرنيكوس وكبلر، جاليليو، نيوتن)، أو مع ثورة الفلاسفة الكبار في أوروبا، مثل: (هوبز، وبيكون ديكارت سبيبنوزا، وكانط ؛ ولذلك يقال: إن **الحداثة حالة أو منبثق من الحالة الفكرية أو الثقافية معينا أو بيئة معينة**، فالحداثة في أوربا تعددت وتطورت مع تطور الحضارة الأوربية؛ ولذلك تعرف الحداثة التي تسبق الحالة التالية، وهي لا تخص زمنا بأنها نظريات وأفكار جديدة في المجتمع، تعمل على زوال البنية التقليدية القديمة في المجتمع وقيام بنية جديدة»[2]، وتعني بذلك «**التجاوز ورفض التقاليد وكل ما هو قديم**، وهي أقوال وأمور لم تكن معروفة من قبل، بمعنى أن لكل عصر حداثته، وهي بذلك حركة تصويب وتغيير اللغة والعادات والتقاليد بمعنى العدول عن النمط السائد»[3]

ومما سبق يتبلور **مصطلح الحداثة بمعنى الثورة والتمرد على كل قديم من موروث ثقافي وحضاري وديني** وعادات وتقاليد، والإتيان بمفاهيم مغايرة لها، وقد اشتقت عدة مصطلحات من مصطلح الحداثة نذكر

---

[1] جان بودريار: الموسوعة الشمولية، ترجمة: محمد سبيلا، الكرمل، العدد 36-37

[2] أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب – بيروت، لبنان، 1994، ص-ص93-94

[3] أحمد محمد زايد: ما الحداثة؟ http://saaid.org/mktarat/almani/70.htm

منها: «المودرنيزم، الدادية، الميتافيزيقية، اللائكية العلمانية، والمستقبلية والسريالية، والانطباعية وكل هذه الكلمات **تعرف الحداثة كبديل لغوي واصطلاحي يلقى قبول عامة الناس**، بدلا عن مصطلح الحداثة الذي يلاقي النفور العام والكراهية كثيرا في بلادنا العربية والإسلامية»[1]، **ومما سبق يتضح** أن الحداثة ليست مفهوما فقط، بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي، أي مع كل الثقافات وعلى التقاليد السابقة عليه.

3-نظريات الحداثة:

كان ظهور النزعة الحداثية منعرجا حاسما غيّر الكثير من الأفكار والآراء والدراسات، وخلق عالما مصطلحيا تعددت من خلاله الاتجاهات وتزاحمت الطروحات التي انبثقت عنها الكثير من النظريات، وأهم النظريات التي ظهرت بظهور النزعة الحداثية وكانت مرافقة لها ولمسارها النقدي: [الكلاسيكية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية، التعبيرية، الدادية، السريالية، الوجودية، الانطباعية...]، وقد تبنتْ كل نظرية الخصائص العامة للحداثة، في حين اختصت كل نظرية بدقائق منهجية تخص مقاربة النصوص والكشف عن جمالية الابداع فيها.

II -ما بعد الحداثة (Postmodernity):

لم يشفع للحداثة تجديدها ولا تغييرها ولا تحويلها لكل مناحي الحياة، هذا التجديد الذي وضعها في ميزان النقد وجعلها محط الكثير من الشك والارتياب، ووضعها في مأزق الأفول، وقد ضعها المفكر والفيلسوف الفرنسي **(جان فرانسوا ليوتار Lyotard- F-J)** في قفص الاتهام «وهو من أعلن نهايتها وميلاد عصر ما بعد الحداثة في كتابه المعروف **الوضع ما بعد الحداثي(La condition postmoderne)** عام1979، وهو في هذا السياق يعلن عن سقوط النظريات والإيديولوجيات، وعجز هذه النظريات عن قراءة الواقع أو تفسيره لأن هذه الأنساق الفكرية تعاني من الجمود والانغلاق، وهي ليست قادرة أبدا كما يذهب أصحابها وروادها على تفسير العالم أو المجتمع، ومن هذه النظريات الماركسية والوضعية والوجودية والبرغماتية وغيرها من النظريات الشمولية المعروفة»[2]، فما هو مفهوم ما بعد الحداثة؟ وما سياقها التاريخي والإبستمولوجي (المعرفي)؟ وماهي مرتكزات هذا المفهوم ومكوناته النظرية والتطبيقية والمنهجية؟ وماهي أهم النظريات التي رافقت ما بعد الحداثة؟ وماهي إيجابيات ما بعد الحداثة وسلبياتها؟ وكيف تم التحول ولماذا؟

---

[1] علا عزمي الشربيني: القول بين التحديث والحداثة والمعاصرة، مجلة ميديا المجلد 109، العدد 1، ص356

[2] علي وطفة: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع 43، نوفمبر 2001، ص110

1-المفهوم:

من المصطلحات الأكثر التباسا وإثارة في فترة ما بعد الحداثة هو مصطلح: "ما بعد الحداثة" نفسه، حيث «اختلف نقاد ودارسو "ما بعد الحداثة"؛ نظرا لتعدد مفاهيمه ومدلولاته من ناقد إلى آخر، بل نجد أن المعاني التي قدمت لمفهوم "ما بعد الحداثة" متناقضة فيما بينها ومختلفة ومتداخلة، حتى أثير حول استخدام مفهوم مصطلح "ما بعد الحداثة" نقاش مستفيض»[1]

ومصطلح "ما بعد الحداثة" «مصطلح نفيٍ سِلبي، وهو ترجمة لمصطلح (post-modernisme)، وقد تستخدم كلمة (post modernity) للدلالة على الشيء نفسه، وأحياناً يُطلق على مصطلح ما بعد الحداثة تعبير (ما بعد البنيوية) (بالإنجليزية: post structuralisme) باعتبار أن فلسفات ما بعد الحداثة قد ظهرت بعد ظهور وسقوط (الفلسفة البنيوية)، ويكاد مصطلح (ما بعد الحداثة) يترادف ومصطلح (التفكيكية)، وللتمييز بينهما، يمكن القول أن (ما بعد الحداثة) هي الرؤية الفلسفية العامة، أما (التفكيكية) فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة، فهي تقوم بتفكيك الإنسان، كما أنها منهج لقراءة النصوص يستند إلى هذه الفلسفة، ويجب ملاحظة أن اصطلاح (ما بعد الحداثة) يكتسب أبعاداً مختلفة بانتقاله من مجال إلى مجال آخر»[2]، ويضيف عبد الوهاب المسيري قائلا « لذلك فإن عالم ما بعد الحداثة **ليس نظاماً حركيا منفتحاً ذا مركز وغاية وتراتب هرمي** -مثل عالم التحديث -، **ولا هو بعالم مغلق يحاول الانفتاح** مثل عالم الحداثة وأن يفرض ترتيباً هرميا ذا معنى(...)وإنما **هو نظام لا مركز له مكون من نظم صغيرة مغلقة، يدور كل منها حول مركزه وحول نفسه**، ويأخذ شكل صور متجاورة لكلّ معناها المستقل، لا يربطها رابط ولا توجد أية صلة بينها، ولا توجد علاقة سببية واضحة، فكل إنسان يدرك الصورة القريبة منه، وهذا كله يعني أنه لا توجد طبيعة مادية موضوعية ولا طبيعة بشرية (ذاتية)، ولا توجد مبادئ متجاوزة، فهو عالم ذَري متشظ ولكنها ذرات سائلة متلاصقة، ولذا فهو عالم هلامي سائل دون أن تكون فيه ثغرات أو مسام وإن كان فيه هوة»[3]

و«عالم ما بعد هو الحداثة عصر الما بعديات (وسقوط كل الما قبليات بسقوط الكل المتجاوز)، فهو **عصر ما بعد التاريخ وما بعد الإنسانية وما بعد السببية وما بعد المحاكاة وما بعد الميتافيزيقا وما بعد التفسير وما بعد التجاوز**، ولعلنا لو أحللنا المقطع (anti) بمعنى (ضد) أو ربما عبارة(end of) بمعنى (نهاية) محل مقطع (post) بمعنى (ما بعد) – لا تّضَح المعنى، ولأدركنا أن **ما بعد** تعني في واقع الأمر

---

[1] جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، المرجع نفسه، ص 17

[2] عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص81

[3] المرجع نفسه، ص85

النهاية؛ نهاية التاريخ، ونهاية الإنسانية، ونهاية السببية، ونهاية المحاكاة، ونهاية الميتافيزيقا، ونهاية التفسير، **وما بعد الحداثة** بهذا المعنى **تعني العداء للحداثة وإخفاق الحداثة، ونهاية الحداثة وإفلاس الحداثة»**[1]، ويفصل عبد الوهاب المسيري، فصلا نهائيا بين الحداثة وما بعد الحداثة لكن فصله هذا فيه شيء من الخطأ، فلو كان الفصل واردا والقطيعة مؤسسة، لما وقفت ما بعد الحداثة على مبادئ الحداثة وانطلقت من نقدها لذلك نحن نرجح رأي الاغلبية التي ترى بأن ما بعد الحداثة رد فعل على الحداثة، واعتمادا على توجيهات "ما بعد الحداثة" واستراتيجياتها ومنهجيتها وطروحاتها النظرية والفكرية والفلسفية يمكن **تقسيمها عن أربع منظورات مختلفة**[2]:

-**المنظور التاريخي:** الذي يرى أن "ما بعد الحداثة" حركة ابتعاد عن الحداثة أو رفضا لبعض جوانبها.

-**المنظور الفلسفي:** الذي يرى أن "ما بعد الحداثة" دليل على الفراغ بغياب الحداثة نفسها.

-**المنظور الأيديولوجي والسياسي (منظور التحيز):** الذي يرى أن ما بعد الحداثة تعرية للأوهام الأيدولوجية الغربية.

-**المنظور الاستراتيجي النصوصي:** الذي يرى أن مقاربة نصوص ما بعد الحداثة لا تتقيد بالمعايير المنهجية، وليست ثمة قراءة واحدة، بل قراءات منفتحة ومتعددة.

2-النشأة:

يعتبر مصطلح ما بعد الحداثة بفرعيه من أهم المصطلحات التي شاعت وسادت منذ الخمسينيات الميلادية، ولم يهتد أحد بعد إلى تحديد مصدره: «فهناك من يعيد المفردة إلى **المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي وعام 1954م**، وهناك من يربطها **بالشاعر والناقد الأمريكي تشارلس أولسون**، في الخمسينيات الميلادية، وهناك من يحيلها إلى **ناقد الثقافة ليزلي فيدلر ويحدد زمانها بعام 1965م**، على أن البحث عن أصول المفردة أفضى إلى اكتشاف استخدامها قبل هذه التواريخ بكثير، كما في **استخدام جون واتكنز تشابمان لمصطلح الرسم ما بعد الحداثي في عقد 1870م**، وظهور مصطلح ما بعد الحداثة عند **رودولف بانفتز في عام 1917م»**[3]، في حين يُجمع بعض الدراسون على أن «فترة ما بعد الحداثة (Post modernisme) تمتد من سنة 1970م إلى سنة 1990م، ويقصد بها النظريات والتيارات والمدارس الفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية والفنية التي ظهرت ما بعد الحداثة البنيوية والسيميائية واللسانية، وقد جاءت ما بعد الحداثة لتقويض

---

[1] عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص86

[2] سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص 228 (بتصرف)

[3] ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، 2002، ص 223

الميتافيزيقا الغربية، وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي، كاللغة والهوية، والأصل، والصوت والعقل(...) وقد استخدمت في ذلك آليات التشتيت والتشكيك والاختلاف والتغريب وتقترن ما بعد الحداثة بفلسفة الفوضى والعدمية والتفكيك واللامعنى واللانظام ...»[1]

ويمكننا أن نجمل كل ما سبق بقولنا أنّ **" ما بعد الحداثة"** حركة فكرية واسعة نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين كرد فعل للحداثة أو كرد فعل على ادعاءات المعرفة القديمة المنتهية والمرتبطة بحداثة عصر النهضة، و**ما بعد الحداثة** تعني حرفيا "بعد الحداثة".

3-نظريات ما بعد الحداثة:

و«تتميز نظريات ما بعد الحداثة عن الحداثة السابقة بقوة التحرر من قيود التمركز، والانفكاك عن اللوغوس والتقليد وما هو متعارف عليه وممارسة كتابة الاختلاف والهدم، والتشريح والانفتاح على الغير عبر الحوار والتفاعل والتناص ومحاربة لغة البنية والانغلاق والانطواء، مع فضح المؤسسات الغربية المهيمنة، وتعرية الإيديولوجيا البيضاء، والاهتمام بالمدنس والهامش والغريب والمتخيل والمختلف، والعناية بالعرق واللون، والجنس والأنوثة، وخطاب ما بعد الاستعمار»[2]

ويمكن أن نذكر جملة من النظريات النقدية التي ظهرت نتيجة النزعة الما بعد حداثية ورافقت مسارها: [ما بعد البنيوية (التفكيكية، السيميوطيقا، القراءة والتلقي) النقد الثقافي، النسوية، البنيوية التكوينية، النقد الموضوعاتي، نظرية ما بعد الاستعمار" ما بعد الكولونيالية"، المقاربة التناصية، النقد البيئي، النقد الميكروسردي...]

III-تحولات الحداثة وما بعد الحداثة وتعارضاتهما:

إنّ حاجة الانسان للتغيير والتجديد والتطور الدائم جعلته يبحث عن بدائل فكرية ومنهجية وفنية، هذه الحاجة فرضت تحولا فكريا مذ خُلق إلى الآن، والحداثة وما بعدها شأنهما شأن كل التحولات الحاصلة في مسار الانسان، فما يسمى «ما بعد الحداثة لا تمثل مرحلة تقع خارج الحداثة، إنها أقرب ما تكون إلى **مراجعة الحداثة لنفسها لنقد بعض أسسها وتلويناتها**، فإذا ما غلب على دينامية الحداثة منطق الفصل والقطيعة فإن ذلك وسم المراحل الظافرة للحداثة في ذروتها لتعود الى توسيع وتليين آليتها ابتداء من منتصف القرن العشرين»[3].

---

[1] جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ط1، 2011، ص17

[2] المرجع نفسه، ص17

[3] محمد سبيلا عبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، دفاتر فلسفية ونصوص مختارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2008، ص5

وكذلك ما بعد الحداثة لا تعني أبدا نهاية الحداثة، بل تعني نقدها واستمرارها أيضاً –بحسب آراء الكثيرين–لذلك يرى جميل حمداوي أنه «تبين واضحا أن أفكار "ما بعد الحداثة مختلفة نسبيا عن مفاهيم الحداثة السابقة، **وهناك من يرى أن أفكار "ما بعد الحداثة" مختلفة جذريا عن أفكار الحداثة**، ويعتقد: "بعضهم أنه **من الممكن اعتبار الكتاب والفنانين في مرحلة ما قبل "الحداثة على أنهم ما بعد الحداثيون**، بالرغم من أن المفهوم لم يكن مصاغا آنذاك، وهذا أقرب إلى الجدل الذي يرى نظريات فرويد عن اللاوعي أنها موجودة مسبقا في الفكر الرومانسي الألماني، وقد ناقش الفيلسوف الألماني (يورغن هابرماس Habermas)أن مشروع ! لم ينته أبدا بعد، حيث يواصل هذا المشروع سعيه لتحقيق أهدافه وبهذا، يقصد (هابرماس) قيم تنوير العقل والعدالة الاجتماعية، ويعد مصطلح "ما بعد الحداثة" (والكلمات المشابهة له) أيضا في نظر الكثيرين أنه يشير بصفة عامة، إلى دور وسائل الإعلام في المجتمعات الرأسمالية في أواخر القرن العشرين وأيا كان استخدامه المفضل، فمن الواضح أن نظرية تفسير التطورات الاجتماعية والثقافية عن طريق السرديات الكبرى لم تعد ممكنة أو مقبولة، وأنه لم يعد ممكنا للأفكار أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الواقع التاريخي، فكل شيء هو النص والصورة»[1].

و«إذا كانت **الحداثة الكلاسيكية تتميز بعقلانية أداتية صارمة، وبنزعة تقنية وبقدرات لا متناهية على السيطرة على الطبيعة والإنسان**، فإن **ما بعد الحداثة تحاول تقديم صورة أكثر إنسانية (...) بحيث تدمج في منظورها الذات البشرية الفاعلة والمعاني الغائبة، والأبعاد الجمالية محاولة الحد من بعض مظاهر أداتيتها**»[2]

لكن المثير للانتباه هو «أن **ما بعد الحداثة هي حداثة، مترحلة فهي تنتقل من عشها المرجعي عبر كل بقاع العالم** عبر التقنية والإعلام والتجارة والغزو وعبر كل أساليب وأدوات الانتشار، بل إنها تحدث صدمات، بل إن تَسربها إلى هذه المجتمعات تجعلها تعيش مخاضاً عسيراً يدعى بصدمة الحداثة، فالمجتمع التقليدي الذي تعرض لهذه الصدمة يشهد اهتزازات وتحولات في كل مستويات نَسَقه الاجتماعي إما في اتجاه التكيف مع الحداثة أو في اتجاه رفضها، مطلقة في هذه المجتمعات صراعا عسيرا بين مقومات التقليد، ومقومات الحداثة. وهذا الصراع ليس اختيارياً أو إرادياً بل هو مخاض موضوعي ناتج عن مظاهر تقدم

---

[1] جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، المرجع نفسه، ص 18

[2] محمد سبيلا عبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، دفاتر فلسفية ونصوص مختارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2008، ص5

الحداثة التي تتحول إلى تيار كاسح يغزو كل الآفاق والفضاءات بمختلف الوسائل والآليات، كما أنه صراع مفتوح لأنه يقحم هذه المجتمعات في مخاض من التحول الطويل المدى»[1].

1-تحولات المصطلح:

ككل مذهب لاحق كانت ما بعد الحداثة رد فعل للحداثة، ولا يختلف اثنان في أن كل مذهب كان يحمل في ذاته عناصر موته -بحسب ما ذكره عدنان علي رضا النحوي- «**احتفلت ما بعد الحداثة بأنموذج التشظي والتشتيت واللاتقريرية** كمقابل **لشموليات الحداثة وثوابتها وزعزعت الثقة بالأنموذج الكوني وبالخطية التقدمية وبعلاقة النتيجة بأسبابها**، وحاربت العقل والعقلانية ودعت إلى خلق أساطير جديدة تتناسب مع مفاهيمها التي ترفض النماذج المتعالية وتضع محلها الضرورات الروحية وضرورة قبول التغير المستمر وتبجيل اللحظة الحاضرة المعاشة، كما رفضت الفصل بين الحياة والفن، حتى أدب ما بعد الحداثة ونظرياتها تأبى التأويل وتحارب المعاني الثابتة، ويلخص الناقد الأمريكي المصري الأصل إيهاب حسن، ردود ما بعد الحداثة على مقولات الحداثة من خلال مقابلته بين مصطلحات الاثنتين، **ففي الحداثة سادت المصطلحات** التالية: **الرومانطيقية والرمزية والشكل المترابط المغلق)، والهدف أو الغاية، والتخطيط المحكم، والطبقية الهرمية، والسيطرة (اللوغوس أو التمركز المنطقي)، والمادة الفنية أو العمل المنتهي المكتمل، والبعد أو المسافة، والإبداع أو الشمولية والتآلفية والحضور والمركزية والتمركز والنوع الأدبي وحدوده، والأنموذج العمودي، والمجاز، والانتقاء أو الاختيار والجذرية أو العمق، والتحليل أو القراءة، وسيادة المدلول وأهمية المقروء، والسرد أو التاريخية الشاملة المتعالية والشيفرة الرئيسة، والعرض القرينة أو الشاهد، والأصل أو السبب، والميتافيزيقا، والتقريرية، والتسامي»**[2]

وفي مقابل هذه المصطلحات التي اهتمت بها الحداثة يسوق إيهاب حسن أضدادها ما بعد الحداثية إذ يرى أن « **ما بعد الحداثة اهتمت بالدادية، ومناهضة الشكل المنتهي ودعت للشكل المفتوح، واللعب، والصدفة، والفوضى التخريبية والإنهاك أو الصمت والصيرورة أو الأدائية الفردية، والمشاركة ومعاداة الإبداع والدعوة إلى التقويض، واللاتآلفية والغياب والتشتيت والنص أو النصوصية المتداخلة والبعد الأفقي والكناية، والإدماج، والسطحية، ومعاداة التأويل أو تبني القراءة الخاطئة، وسيادة الدال، وأهمية المكتوب ومعاداة السرد والاحتفاء بالتاريخية الهامشية والشيفرة الشخصية والرغبة والاختلاف أو الأثر، والمفارقة،**

---

[1] محمد سبيلا عبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، دفاتر فلسفية ونصوص مختارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2008، ص5

[2] ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص 227

واللاتقريرية، والحلولية»[1]، والجدول الموالي جمع لبعض المصطلحات التي اتخذت مسار التحول من الحداثة على ما بعد الحداثة:

مصطلحات الحداثة	مصطلحات ما بعد الحداثة
الرومانسية /الرمزية	ما بعد الطبيعة /الدادائية
الشكل (متصل ومغلق)	اللاشكل (متقطع ومفتوح)
قصد	لعب
تخطط	مصادفة
تراتبية	فوضى
قوة/لوغوس	ضعف/صمت
موضوع الفن/ عمل منتهى	عملية /آداء/حدث
مسافة	مشاركة
شمولية	جزئية /تجزئة
بناء	هدم /تفكيك
ابداع	جمود
تركيب	تفكك
حضور	غياب
تمركز	تشتت
نوع /حدود	نص/ تداخل نصي
نموذج معياري	سياق
ترتيب بواسطة روابط	ترتيب من دون روابط
استعارة	كناية
انتقاء	مزج
جذر /عمق	جذور/سطح
تفسير/ قراءة	ضد التفسير/قراءة محرفة
مدلول	دال

[1] سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص 228

المقروء	المكتوب
السرد	ضد السرد
السمة	الرغبة
تناسلي /ذكوري	متعدد الاشكال/ مخنث
جنون العظمة	الفصام
الأصل /السبب	الاختلاف /الاثر
ميتافيزيقا	سخرية
حتمية	لا حتمية
محايثة	مفارقة

إنّ «هذا العداء بين مفاهيم الحداثة ومصطلحاتها وبين مفاهيم ما بعد الحداثة ومصطلحاتها يجعل الثانية **ردة فعل عنيفة على الأولى، على أننا لابد أن ندرك أن هناك من يقول إن الثانية ما زالت امتدادا طبيعيا للأولى وليس خروجا عليها** (خاصة الفيلسوف الألماني هابرماس)، لكن حتى هذا النوع الأخير من المدافعين عن مشروع الحداثة تخلى عن التفاؤلية التي تمتعت بها الحداثة (...)ولعل معالجة سريعة لمفاهيم ما بعد الحداثة ومصطلحاتها تؤكد تبنيها للطروحات البنيوية وما بعدها (خاصة في أشكالها الفرنسية، كما أن دراساتها التطبيقية تحيل باستمرار إلى جاك دريدا، وجاك لاكان، ورولان بارت، وميشيل فوكو، وغيرهم ممن أسهموا في تأسيس ثقافة ما بعد الحداثة»[1]

2-تعارضات الحداثة وما بعد الحداثة:

لعلّ أفضل السبل على فهم ما بعد الحداثة، هو « النظر إليها على أنها **معارضة وردة فعل ضد الحداثة ومعطياتها، فالحداثة جاءت بمشروعها لتخليص الإنسان من أوهامه وتحريره من قيوده وتفسير الكون تفسيرا عقلانيا واعيا**، ورأت الحداثة أن مثل هذا المشروع لا يتم ما لم يقطع الإنسان صلته بالماضي ويهتم باللحظة الراهنة العابرة: أي **بالتجربة الإنسانية كما هي في لحظتها الآنية**، وهكذا احتفت الحداثة بالصيرورة المستمرة المتشكلة أبدا وغير المستقرة على حال، لكنها أيضا **كانت تسعى في المقابل إلى إرساء الثوابت القارة التي تحكم الإنسان وتحكم تجربته كما تحكم الصيرورة الثقافية** فتفسر المتغيرات العابرة وتمنح مشروعية تبريرية عقلانية لحالة الفوضى التي تتسم بها **هنا جاء التقابل الضدي بين الثابت والمتحول كإمكانية تفسير التناقض الواضح بين اللحظة العابرة والقانون الثابت الذي يتحكم بها ويمنحها نظاما**

[1] سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص 228

مستقرا أبديا، وكان على **الحداثة أن تكون مشروعا وضعيا** يؤمن منذ عصر التنوير بفكرة التطور والتقدم الذي يبني على الماضي وينفصل عنه في آن، فهي ترى أن اللحظة المعاشة والتجربة الحالية هي الحقيقة التي يجب التعامل معها ضمن كامل التاريخ، **ومن خلال علمنة المعرفة وتفسير بنية المجتمع تفسيرا علميا حاولت الحداثة أن تزيل الأوهام والطلاسم التقليدية التي ارتبطت بالمعرفة وبالمجتمع والثقافته،** ورأت أن مثل هذا التفسير والعلمية التي يتبعها من شأنها تحرير الإنسان وتوجيهه نحو قيم جديدة، **ولذلك سادت في مشروع الحداثة مفاهيم وقيم الإبداع والاكتشاف العلمي والتميز الفردي على أنها غاية التقدم ونهاية مطاف التطور**، ومن هذا المنطلق **نادت الحداثة بشعارات** خلابة مثل **الحرية والمساواة والإيمان بقدرة الإنسان العقلية وعالمية الجهاز الإدراكي،** فكان من **أهم نتائج هذا التوجه محاولة الهيمنة والسيطرة على القوى الطبيعية وعلى الطبيعة عموما،** كما آمنت إيمانا قاطعا بالقدرة الإنسانية على فهم العالم والحياة والذات والتقدم الأخلاقي وإدراك، وآمنت بإمكانية حلول العدل وتحقق سعادة الإنسان، وهكذا كان من الطبيعي أن **تتمحور شعاراتها وثوابتها حول مثاليات مغرية على كافة المستويات : فكرة التطور والتقدم والرفاه الإنساني، والإيمان بمستقبل أفضل، والتحصيل المعرفي والتصنيع والصناعة والتحضر والتقدم التقني وتطور الدولة القطرية الوطنية،** وأعلت من شأن المهنة المتخصصة والمنصب والمسؤولية الفردية وشحذت آليات البيروقراطية ودعت للديمقراطية الليبرالية ولنشر روح التسامح والمذهبية الإنسانية والمساواة العرقية والاجتماعية والاقتصادية، كما أشاعت أهمية التجارب المتجردة والإيمان بالمعايير التقويمية والإجراءات غير المتحيزة وتبنت أهمية القواعد المقننة التي لا تخضع للميول والنزعات الشخصية كل هذه السمات كانت تدين للعقلانية المطلقة»[1]

وعلى الرغم من بريق ومثالية هذه المفاهيم والشعارات، «إلا أن **الحداثة اصطدمت بالحياة الواقعية:** باللحظة العابرة المعاشة اصطدمت بتجربة القرن العشرين المريرة، إذ **كانت حصيلتها لسعادة الإنسان حروبا ومشاحنات طاحنة واستعمارا وإرهابا وهيمنة وقمعا للآخر، وتفاوتا طبقيا واقتصاديا وقمعا عسكريا وقنابل ذرية وخطرا نوويا إضافة إلى الظلم الاجتماعي وانهيار الثقة بفكرة المساواة والعدالة للجميع،** هذا الجانب المظلم من الثابت الذي يدفعها إلى إطلاق الشعارات المثالية (المتحولة)، وهو **الذي شق دعاتها إلى قسمين:** فمنهم من يرى أنه جاء نتيجة سوء استخدام العقلانية استخداما واعيا وهناك من يرى أن الحداثة نفسها تنطوي على جانب تدميري هو نواتها التي لابد أن تؤول إليها كل نظرة غائية، خاصة أن الغاية تبرر الوسيلة (لابد من الحرب التي تنهي كل الحروب شعار تبرير الحرب العالمية»[2]

---

[1] سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص 225

[2] المرجع نفسه، ص 226

فجاءت **ما بعد الحداثة لتقلب مقولات الحداثة وفرضياتها** تماما « **ليس هنالك ثمة ثابت يحكم المتحول، وليس ثمة عقل يفسر تفسيرا غير متحيز** أوجه النشاط الثقافي البشري، كما **لا وجود لثقافة عالية نخبوية وأخرى دونية جماهيرية،** بل كل ما هنالك هو **تشكيل مستمر لا يمكن تبريره أو تفسيره** بالإحالة على أنموذج متعال، وإنما يقبل التفسير فقط داخله مما يجعل التفسير نفسه محكوما بأشكال مادته الخاصة وليس نتيجة ثوابت لا تتحول أو تتبدل، **فالثابت نفسه شكل من أشكال المتحول** بما أن المعرفة تعتمد كليا على مادتها وعلى أشكالها المنهجية والمادة التي يتعامل معها التفسير والتأويل المتحول ولا شيء سواه، ولئن دعت الحداثة إلى الفصل بين **الثابت كقاعدة تفسيرية والمتحول كمادة للتفسير،** فإن **ما بعد الحداثة قد وصلت الفصل وجعلت المحال تمييز أو اختلاف الأول عن الثاني،** بل إن **ما بعد الحداثة لا تؤمن بالفواصل والفوارق الثقافية المعرفية** لأن أشكال المعرفة هي نفسها تتبع أشكال المادة المدروسة نفسها وتتأثر بها وليست كما تفترض الحداثة أي أن أشكال المعرفة تتسم بالعلمية والتجرد غير المتحيز، ولهذا **ألغت ما بعد الحداثة كل الفواصل التي تسم الثنائيات الضدية،** وإن **احتفت الحداثة بالعمق والمعنى** فإن **ما بعد الحداثة نادت بعدم ثبات المعنى وعدم جوهريته،** فلا شيء تحت السطح سوى السطح، ولا شيء تحت التجربة سوى التجربة. ولهذا **تبنت ما بعد الحداثة الإيمان بالسطح والسطحية والمبتذل اليومي** وحاربت ثقافة النخبة والنخبوية، وتؤمن ما بعد الحداثة أن هذه الثنائيات التي تدين بها الحداثة هي الوازع والدافع وراء القمع والقسر والإرهاب (هي الجواهر التي حرصت الحداثة على صيانتها والمحافظة عليها). ولذلك **حاولت ما بعد الحداثة إلغاء التحيزات الهرمية عن طريق استبعاد مبررات وجودها** فبدلا من القول بالفوارق والفواصل الهرمية (المهم / غير المهم؛ الأصل الفرع) **سعت ما بعد الحداثة وتسعى إلى تقويض السلالم الهرمية والاحتفاء بالعرضية** والتلاعب والمفارقة والسخرية والانفصامية ولغة السوق والتجارة، كما حاربت وتحارب العرف والتقليد الثقافي بكل أشكاله، واهتمت بأشكال التعددية اهتماما شديدا كأقوى وسائل الانعتاق من القيود الماورائية وأهم مبررات إعادة تعريف الخطاب الثقافي ودراسته»[1] .

IV-تقييم تجربة "ما بعد الحداثة" :

إن التفصيل في المذهب الما بعد حداثي، يجعلنا نتساءل عن طبيعة هذا المذهب الذي أبعد ما قبله بل أزاله وتربع الساحة الفكرية، ما الذي قدمته ما بعد الحداثة؟ ما هي إيجابياتها وسلبياتها إن كانت كل مبادئها تقوم على التقويض والتفكيك واللامركزية؟

[1] ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص–ص 226–227

من المعلوم أن لنظرية "ما بعد الحداثة" إيجابيات وسلبيات كباقي الظواهر والنظريات الثقافية، وباقي المناهج النقدية الأدبية، ومن ثم، «لا يمكن الحديث عن الكمال والتمام في العلوم الإنسانية إطلاقا؛ لأن الأفكار والمناهج والتصورات تتناسخ وتتناسل وتتوالد تناصا وتقويضا وتفكيكا وتأجيلا وتشتيتا، **ومن إيجابيات "ما بعد الحداثة"**»[1]

–أنها حركة تحررية تهدف إلى تحرير الإنسان من عالم الأوهام والأساطير، وتخليصه من هيمنة الميثولوجيا البيضاء.

– تعمل فلسفات "ما بعد الحداثة" على تقويض المقولات المركزية للفكر الغربي، وإعادة النظر في يقينياتها الثابتة بالتقويض والتشكيك والتشتيت والتشريح والهدم، والهدف من ذلك هو بناء قيم جديدة.

–حاربت ثقافة النخبة والمركز، فاهتمت بالهامش والثقافة الشعبية، ثم انتقدت الخطابات الاستشراقية ذات الطابع الاستعماري بالنقد والتفكيك والتحليل.

– آمنت نظرية ما بعد الحداثة بالتعددية والاختلاف وتعدد الهويات، وأعادت الاعتبار للسياق والإحالة والمؤلف والمتلقي، كما هو حال الهيرمينوطيقا وجمالية التلقي.

– واهتمت كذلك بالتناص والاختلاف اللوني والجنوسي والعرقي، وعملت على إلغاء التحيزات الهرمية والطبقية، واحتفت بالضحك، والسخرية، والقبح، والمفارقة والغرابة.

– واعتنت كذلك بالعرضية، والهامش، والمدنس، وانزاحت عن الأعراف والقوانين والقيم الموروثة. واستسلمت للغة التشظي والتفكك واللانظام، ونددت بالمفاهيم القمعية القسرية وسلطة القوة ...

بيد أن من أهم **سلبيات ما بعد الحداثة**[2]:

– اعتمادها على فكرة التقويض والهدم والفوضى، إذ لا تقدم للإنسان البديل الواقعي والثقافي والعملي، فمن الصعب تطبيق تصورات "ما بعد الحداثة" واقعيا لغرابتها وشذوذها.

– استهلكت "ما بعد الحداثة" قدرتها الاستراتيجية الفعالة في إبراز التحيزات المجحفة، دون أن يكون لها موقف أخلاقي أو سياسي أو اجتماعي، ويعجب المرء من المفارقة بين قوتها العدائية ضد التحيزات والنهاية المحايدة التي تنجم عن مثل هذه الحرب الضروس.

و«لا ينكر أحد فعالية النظرية النقدية التي تبنتها ما بعد الحداثة، كما لا يشك أحد بمشروعية دعوتها التحريرية ومحاربتها للمفاهيم القمعية القسرية، ولا يختلف اثنان على أهمية تغيير الأسس المعرفية وإماطة القناع عن خفايا أبنية القوى ودوافعها المتحيزة، لكن **ما بعد الحداثة تصل في النهاية إلى ما وصل إليه**

---

[1] المرجع نفسه، ص 228 (بتصرف)

[2] ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص 229 (بتصرف)

التقويض تصل إلى طريق مسدود، فهي وإن حاربت أشكال الهيمنة والظلم تظل عاجزة عن تقديم البديل الواقعي الثقافي العملي اليومي على مستوى التجربة المعاشة التي تحتفل بها وتعلي من شأنها)، فهي تبقى معلقة غير فعالة على مستوى الثقافة العامة والخاصة، وإن هي **حاربت التحيز باسم الحياد** فان الحياد المطلق باعتراف طروحاتها هي نفسها سينقلب إلى تحيز، وأن هي **حاربت المركز والمركزية باسم الهامش،** فان الهامش نفسه سيصبح مركزا آخر يتسم بنفس صفات المركز والمركزية، ولهذا **بقيت الدراسات ما بعد الحداثية معلقة بين المركز والهامش غير قادرة على تبني توجه محايد أو متحيز،** وبذلك استهلكت ما بعد الحداثة قدرتها الاستراتيجية الفعالة في إبراز التحيزات المجحفة دون أن يكون لها موقف أخلاقي أو سياسي أو اجتماعي، ويعجب المرء من المفارقة بين قوتها العدائية ضد التحيزات والنهاية المحايدة التي تنجم عن مثل هذه الحرب الضروس ولعل مثل هذه النهاية هي التي دعت الكثير إلى توجيه أصابع الاتهام: فهناك من يقول إن هذه السمة ذاتها هي التي تجعل ما بعد الحداثة متواطئة مع الأشكال الشمولية القمعية التي تسعى إلى الهيمنة والسيطرة والظلم الاجتماعي والاقتصادي، لا غرو والحالة هذه أن تدخل ما بعد الحداثة مجال العلوم الاجتماعية حديثا جدا، وحتى هذا الدخول لم يتسم بالفعالية نفسها التي عرفتها في الفن والأدب والموسيقى والاستعراضات المسرحية وغيرها من مشارب الحياة اليومية التي لا يترتب عليها اتخاذ قرارات حاسمة تمس حياة الإنسان مباشرة، **ولعل المفارقة القارة التي تجعلها عاجزة هي معاداتها للثنائية الضدية** إذ إن **التضاد أساس المعرفة وأساس التحيز،** وبدون التضاد لا يمكن معرفة ما إذا كان توجه ما أفضل من غيره، ولذلك فإن **دفاع ما بعد الحداثة عن الهامش جعلها تتقمص خصائصه،** إذ انقلب على أهميتها فأصبحت هامشية لا تغير من الواقع شيئا، وككل هامشي أصبحت ما بعد الحداثة تتمنى أن يتحقق الوئام فجأة فتسود العدالة وتختفي الطبقية الهرمية ويختلط المركز بالهامش وتلتغي الفوارق من غير تحيز أو غاية هذه هي الطوباوية التي تحلم بها كل المثاليات: حداثية كانت أو ما بعد حداثية»[1]

الخاتمة:

اشتملت هذه الدراسة في نهايتها على جملة من النتائج، جاءت كحوصلة تلخص مسار التحول والتعارض بين المذهبين يمكن اجمالها فيما يأتي:

-**الحداثة؛** حركة فكرية قامت تطالب بتبني تفسيرات جديد وفق أساليب التأويل الحديث نقيض القديم وهي أول الأمر وبداياته، تقوم على: تحرير العقل من سلطة المقدس، وهي انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه، وتتميز بعقلانية أداتية صارمة، وبنزعة تقنية وبقدرات لا متناهية على السيطرة على الطبيعة والإنسان

[1] ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الادبي، المرجع نفسه، ص229

-**ما بعد الحداثة:** حركة فكرية واسعة نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين كرد فعل على ادعاءات المعرفة القديمة المنتهية والمرتبطة بحداثة عصر النهضة، وتعني حرفيا "بعد الحداثة"، تحاول تقديم صورة أكثر إنسانية عن الحداثة بحيث تدمج في منظورها الذات البشرية الفاعلة والمعاني الغائبة، والأبعاد الجمالية محاولة الحد من بعض مظاهر أداتيتها.

-**مبدئ التحول** في كل شيء الذي تبنته الحداثة، كان نقطة الضعف التي كسرت مسارها واحالتها إلى الافول لتخرج ما بعد الحداثة للحياة، لذلك لا يختلف اثنان في أن كل مذهب كان يحمل في ذاته عناصر موته.

-لا تقف **تعارضات الحداثة وما بعد الحداثة** عند عنصر واحد، بل تظهر التعارضات ابتداء من المفهوم إلى المشروع والطرح الفكري، إلى النشأة والمبادئ والأصول، من دون أن نهمل تعارضات النظريات النقدية والمقاربة التطبيقية، وتعارضات المصطلح.

قائمة والمراجع:

1-عدنان علي رضا النحوي: الحداثة في منظور إيماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1410هـ-1989م.

2-أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب – بيروت، لبنان، 1994.

3-علي وطفة: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع 43، نوفمبر 2001.

4-عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003،

5-محمد سبيلا عبد السلام بنعبد العالي: الحداثة، دفاتر فلسفية ونصوص مختارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2008.

6-جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ط1، 2011.

-الكتب المترجمة

7-جان بودريار: الموسوعة الشمولية، ترجمة: محمد سبيلا، الكرمل، العدد 36-37

المعاجم:

8-مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار المعارف مصر، ج1، ط2، 1392هـ-1972م

9-ميجان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الادبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، 2002.

المجلات والدوريات:

10-علا عزمي الشربيني: القول بين التحديث والحداثة والمعاصرة، مجلة ميديا المجلد 109، العدد 1.

-المواقع الالكترونية:

11-أحمد محمد زايد: ما الحداثة؟ http://saaid.org/mktarat/almani/70.htm